التعريب : الأساليب والمشاكل والحلول

الدكتور فاضل احمد الطائي

استاذ متمرس في جامعة بغداد

التعريب هو نقل المعرفة ، سواء اكانت هذه المعرفة علمية أم انسانية الى اللغة العربية . لقد جرى التعريب في تاريخ الامة العربية مرتين ، اولهما في القرن السابع للميلاد اي في اواخر القرن الاول للهجرة واستمر ثلاثة قرون متتالية . وكانت اللغة التي نقل العرب عنها هي اللغة اليونانية بالدرجة الاولى . كما جرى التعريب ثانية في مطلع القرن العشرين وبثنان ما بين الحالتين ، فالتعريب الاول كان ممكنا ومستطاعا بل ميسورا ايضا . ذلك لان التراث اليوناني كان محدودا ، اذ انطفأت جذوة الحضارة اليونانية قبل القرن السابع للميلاد بقرون ، وكل ما تبقى من الحضارة اليونانية تراثها وكان مكتوبا . والمهم في الامر ان التراث اليوناني قليلا كان او كثيرا ظهر ثابت ومستقر وما كان ليزداد شيئا . لذلك تمكن العرب من نقل جل ذلك التراث الى لغتهم . اما التعريب اليوم فيختلف اختلافا بينا عما كان عليه في القرن السابع للميلاد ، اذ أن العلم الحديث في اوربا والدول المتقدمة يسير بسرعة متزايدة وبتعجيل مستمر ، فهو ما يزال حيا وينمو نموا متصاعدا لذلك اصبح التعريب في هذا العصر اصعب بكثير مما كان عليه في القرن السابع للميلاد . وتعنت اللغة التي ينقل عنها العلم الحديث الى اللغات الاخرى باللغة الحية . واللغة الحية ليست حية بتركيبها وقدرتها على الاستيعاب واشتقاقاتها ، بل ان حياة اللغة مرهونة بحياة اهلها الذين بنوا العالم في المضمار الحضاري والتقدم العلمي . وقد كانت اللغة العربية من القرن الثامن وحتى القرن السابع عشر للميلاد لغة حية وتنقل عنها كثير من الشعوب الى لغاتهم . كتب العرب والمسلمين باللغة العربية كما كتب

بها من عني بالعلم من غير العرب وغير المسلمين لانها كانت اللغة الحية لغة العلم لغة من سبق الامم الاخرى في مضمار العلم والثقافة وكتب بها كثير من المسلمين من غير العرب وكان لزاما على من اراد ارتشاف العلم في ذلك الوقت ان يحسن اللغة العربية ، وان كثيرا من الكتاب والعلماء قد فضلوا اللغة العربية باعتبارها لغة علم على لغتهم الام .

وخير دليل على ذلك ما كتبه ابو الريحان البيروني الموسوعي المشهور في مستهل كتابه (الصيدنة) واليك نصه « والى لسان العرب نقلت العلوم من اقطار العالم وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين والاوردة ، وان كانت كل امة تستحلي لغتها التي الفتها واعتادتها واستعملتها في مآربها مع الآفها واشكالها ، واقيس هذا بنفسي وهي مطبوعة على لغة لو خلد بها علم لاستغرب استغراب البعير على الميزاب والزرافة في الكراب ثم متنقلة الى العربية والفارسية ، فأنا في كل واحدة دخيل ولها متكلف والهجو بالعربية احب الي من المدح بالفارسية ، وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم نقل الى الفارسية كيف ذهب رونقه وكسف باله واسود وجهه وزال الانتفاع به .... »

وهذا دليل قاطع على ان العلماء المسلمين من غير العرب قد استعملوا اللغة العربية وكذلك الحال مع الرازي وابن سينا وغيرهما . كما ان العلماء الاوربيين في ابان نهضتهم قد اعتمدوا على العلم العربي ، وتمكن الكثير منهم من اللغة العربية — اللغة الحية انذاك من نقل العلوم عنها الى مختلف اللغات الاوربية فجاءت الترجمات للكتب العربية في اللغة اللاتينية والايطالية والالمانية والهولندية بل حتى العبرية ، وتغذت اوربا على العلم العربي الذي نقل الى لغاتها من القرن الثاني عشر حتى مطلع القرن الثامن عشر للميلاد . ودُرست الكتب العربية المترجمة الى اللغات الاوربية في جامعاتها طيلة تلك الفترة ، وقد دُرّس الحاوى ، كتاب الطب لابي بكر الرازي ، في جامعات هولندة منذ تأسيس جامعاتها حتى نهاية القرن السابع عشر للميلاد ، ولم يكن كتاب القانون في الطب لابن سينا بأقل شأنا من كتاب الحاوى ان لم يكن اكثر اتقانا واوسع علما ، ولا يزال كتاب القانون حتى مطلع القرن العشرين ، وقد ذكر المستشرق آلدوميلي في كتابه الموسوم العلم عند العرب ان ثلاثة طلبة من اوربا قد نالوا شهادة الدكتوراه في تحقيق جزء من كتاب القانون اولهم كان عام ١٨٩٩ واثنان عام ١٩٠٠ م .

اساليب التعريب :ـ

لا بد لمن اراد ان ينقل العلم من لغة ما الى اللغة العربية ان يكون متمكنا من اللغتين بالدرجة الاولى ، وان يحسن العلم الذي ينقله ، لتأتي الترجمة مفهومة وبتركيب عربي صحيح ، بحيث ان الذي يقرأها يخالها قد كتبت بالعربية اصلا .

لقد ظهرت كتب معربة في هذا القرن ينقصها السبك العربي والصياغة الصحيحة لانها جاءت بكلمات عربية — كتبت جملها وفق تركيب اللغة الاوربية التي نقلوا عنها وبذلك دخلت تراكيب في اللغة العربية لم تكن مألوفة عند العرب من قبل ، وليس من الصعوبة ان يعاد التركيب ثانية حيث يتفق وما جاء على لسان العرب . وهذه الظاهرة ليست غريبة فقد وقع فيها العرب في القرن السابع للميلاد ، عندما شرعوا بترجمة التراث اليوناني ، ولم يكونوا قد تمكنوا من اللغة اليونانية بعد — بل ربما كانت اللغة العربية عند من قام بالترجمة غير متقنة فجاء التعريب ناقصاً ومرتبكاً وركيكاً ومن الصعب على العربي ان يفهمه بيسر حتى ظهر حنين بن اسحق في القرن الثاني للهجرة فدرس اللغة العربية على تلاميذ الخليل بن احمد الفراهيدي في مدرسته وذهب الى اليونان واقام فيها مدة مكنته من اتقان اللغة اليونانية ، لذلك جاءت ترجماته وترجمات تلاميذه ومن بعدهم بلغة عربية سليمة واسلوب عربي واضح رصين . وعرض العلم الذي نقله عرضاً مفهوماً وواضحاً ولقي حنين بن اسحق تشجيعاً كبيراً من لدن خلفاء الدولة العباسية في بغداد ولا سيما المأمون الذي كان يكافئ ترجمة حنين بالذهب كفة بكفة .

ليس من السهل ان ننقل العلم الاوربي كله الى اللغة العربية في الوقت الحاضر وذلك لكثرته ونموه المتسارع ، وعلى سبيل المثال اقول ان العالم لا يستطيع قراءة المجلات الدورية التي تعنى بالبحوث الجديدة في حقل اختصاصه ولو بلغة حية واحدة لكثرتها بالطبع . اذ تظهر نحواً من اربعمائة مجلة دورية شهريا في موضوعه على اقل تقدير ، لذلك بات تعريب كل ما يستجد من العلم امراً متعذراً ولكن الامر غير ذلك ان اقتصر على التدريس الجامعي حسب ومن المهم جداً في عملية التعريب انتقاء امهات الكتب العلمية التي تدرس على المستوى الجامعي في حقل ما ومن الجدير بالذكر ان

يراعى في انتقاء الكتب تلك التي تدرس في اكثر جامعات الاقطار الاور ، اذ ان كل كتاب من هذه الكتب لا بد ان اعيد طبعه وتنقيحه مرات عديدة بل الحية التي كتب بها وُدّرس في اغلب الجامعات الاجنبية ولمدة طويلة ومن الاوفق ان تتولى انتقاء الكتب لجان مختصة في كل حقل من حقول المعرفة العلمية بل في كل موضوع من ذلك الحقل . هذا ويجب ان يراعى في اختيار اعضاء اللجان الخبرة الطويلة في التدريس والتمكن من المادة التي درسوها . وليس هذا الامر بعسير ، وتعريب هذه الكتب تعريباً سليماً صحيحاً . ومتى ما تمكنا من كتابة البحوث الجديدة باللغة العربية وهيأنا الدوريات العلمية بها تصبح عملية التعريب امراً سهلاً بل ستكون اللغة العربية احدى اللغات التي يعتمدها البحث العلمي .

ولا بد لمن يعنى بالتعريب ان يستعمل المصطلح العربي اذ انه يشكل حجر اساس قد يحول دون التعريب سيراً حثيثاً في الوقت الحاضر . هذا واترك موضوع المصطلح العلمي العربي لغيري ان يتولاه ويبحثه . ولا بد ان اقول كلمتي هنا ان المصطلح العربي يجب ان يكون واحداً في جميع الاقطار العربية ، ليأتي الكتاب المعرب بفائدة عامة لاتقتصر على قطر عربي واحد بل تشمل الاقطار العربية كلها واني لمتفائل من هذه الناحية ، اى من ناحية المصطلح العلمي العربي ، فقد كان ولا يزال موضع اهتمام المجامع اللغوية العربية والاتحاد العلمي العربي والاتحادات المهنية الاخرى في البلاد العربية ، وظهرت بعض المعاجم في حقول معينة من العلم وما زالت المجامع والاتحادات معنية عناية كبيرة وتبذل جهوداً مضنية ومتواصلة في وضع المصطلح العلمي العربي واعداد المعاجم في كل حقل علمي وعما قريب ستظهر مصطلحات علمية اقرتها المجامع اللغوية العربية في شتى فروع المعرفة العلمية ولا ارى مانعاً في الوقت الحاضر من استعمال مصطلحات يضعها الاستاذ نفسه ويثبتها في محاضراته ثم يستبدل بها عند التأليف المصطلحات الموحدة التي تصدر عن المجامع والاتحادات العربية ولا بد من الاخذ بهذه المصطلحات واستعمالها في التعريب وبخاصة في الكتب التي يتفق الرأى على ترجمتها وتعريب مصطلحاتهـــا .

المشاكل والحلول : ــ

من المشاكل التي تجابه التعريب مشكلة الاستاذ عند القاء المحاضرات باللغة العربية ولاسيما اذا كان الالقاء ارتجالا فكلنا يعلم ان اساتذة العلوم قد تلقوا علومهم بلغة حيـــة وكتبوا بحوثهم بها ودافعوا عن اطروحاتهم بتلك اللغة نفسها ومارسوا التدريس في الجامعات العربية باللغة الحية التي احسنوها فهم يفكرون بتلك اللغة ويسهل عليهم فهمها عند قراءتهم اياها فاذا ما اراد الاستاذ في الوقت الحاضر ان يلقي محاضرة باللغة العربيـــة كان عليه ان يقوم بعملية نقل العلم من اللغة التي تعلمه بها الى اللغة العربية آنياً ، ومن الصعوبة التي يعانيها هو الوقت الذي تستغرقه عملية الترجمة الفكرية ، اضافة الى تركيب الجمل باللغة العربية والذي يختلف عن التركيب في اللغة التي يترجم عنها . تاهيك عما تعترضه من مصطلحات علمية في اللغة الحية ، وبامكان الاستاذ ان يتغلب على هذا الوضع اذا كتب محاضرته واعادة قراءتها قبل ان يلقيها على طلبته فتكون عملية الترجمة عندئذ قد اختمرت في نفسه بعد ان مرت عليه مرة واحدة عند اعداد المحاضرة وكتابتها وثانية عند اعادة قراءتها ولا يطول به هذا الحال فسرعان ما تتكون عنده الملكة على الترجمة والتفكير باللغة العربية مباشرة ، وهكذا يصبح القاء المحاضرات باللغة العربية امراً سهلاً ولا غرابة في ذلك فالاستاذ قد تغلب على المشاكل والصعوبات التي خالها هائلة اول الامر بعد ان تصور التغلب عليها متعذرا ان لم يكن مستحيلاً

وهناك مشكلة اخرى اقولها رغم مرارة الحقيقة ــ ان بعض الاساتذة لا يحسنون اللغة العربية ولا يطيقون التعبير بها تعبيراً فصيحاً سلساً ، وعلى هؤلاء ان يدرسوا لغتهـــم العربية ويحسنوها ولا اقول ان يتقنوها اذ ان في الاتقان مشقة كبيرة . وبعد ان يحسن الاستاذ اللغة العربية ويكتب محاضراته خارج قاعات المحاضرات يتمكن من التدريس باللغة العربية كما تتيسر له عملية التعريب عند ترجمة كتاب علمي في حقل اختصاصه

اما المشكلة الكبرى التي تكتنف التعريب هي مشكلة المستوى العلمي ، فاذا كان الطالب الجامعي لا يحسن اللغة الحية ـــ وفي العراق اللغة الانكليزية ـــ والتي تدرّس في جميع المراحل الدراسية التي تسبق الدراسة الجامعية بات الطالب جاهلا بما احتوته الكتب

الاخرى من علم باللغة الانكليزية ، واصبح البحث العلمي متعذرا عليه ، فاذا مـا اعتمد الطالب على محاضرة الاستاذ حسب كان افقه العلمي ضيقاً مهما كانت المحاضرة شاملة لذلك ارى من المحتم على الطالب الجامعي ، ولا سيما طالب العلم ان يحسن اللغة الانكليزية على الاقل . ويؤسفني ان اقول ان خريج الاعدادية في العراق اضعف من اقرانه في اللغة الانكليزية في الاقطار العربية الاخرى وقد لمست ذلك وتثبت منه بنفسي عندما التحقت بالبعثة العراقية بعد مرحلة الاعدادية مباشرة فوجدت — كما وجد طلاب البعثة العراقية صعوبة في اللغة الانكليزية من حيث متابعة المحاضرات وقراءة الكتب قراءة سريعة تتناسب وما تتطلبه الدراسة الجامعية ولكننا تغلبنا على مشكلة اللغـة الانكليزية بعد فترة وجيزة من الزمن ولم تكن طويلة على كل حال ، لذا ارى من الضروري العناية باللغة الانكليزية في العراق ولا سيما في المراحل الدراسية التي تسبق المرحلة الجامعية . كما يجب مراعاة كفاءات مدرسي اللغة الانكليزية في المرحلتين المتوسطة والاعدادية وعدم ارهاقهم بعدد كبير من الطلبة بحيث يصعب عليهم اعطاء الطلبة مواضيع انشائية وبالتالي معاناة المدرسين من صعوبة تصحيح هذه المواضيع من حيث الجهد والوقت ، فكتابة الانشاء وقليل من القواعد سواء اكان ذلك في اللغة الانكليزية ام في اللغة العربية كفيلان برفع مستوى الطلبة في اللغتين . فاذا ما كلف المدرس بمائتي طالب او اكثر .. كما يحصل عادة — بات امر تصحيح الانشاء شاقاً ومرهقاً اذا اقتصر على تصحيح ما يكتبه الطلبة من انشاء ولو مرة في الاسبوع . واورد مثلا لذلك انني لم اكلف بكتابة انشاء واحد في اللغة الانكليزية في المرحلة الاعدادية التي قضيتها وكانت عامين وهكذا انهيت الدراسة الاعدادية ولم اكن قادرا على الكتابة باللغة الانكليزيـة كتابة صحيحة بل كنت اكتب اللغة الانكليزية بأسلوب عربي وبالفاظ وكلمات انكليزية وعندما درست اللغة الانكليزية في السنة الاولى من الدراسة الجامعية كنت اكلف بكتابة اكثر من انشائين في الاسبوع الواحد ، استجابة لطلب الاستاذ وكان الاستاذ يقضي وقته اثناء المحاضرة بتدريس القواعد تارة والاتيان بأمثلة كثيرة لتوضيح اسلوب الكتابة في اللغة الانكليزية وبالاملاء تارة اخرى . وقد اتبـع اسلوباً سليماً في تصحيح الاملاء دون ان يعني نفسه كثيراً ودون ان يأخذ وقتاً طويلا من

المحاضرة ، فهو يطلب الى الطلبة بعد ان يملي عليهم ما اختاره ، ان يتسلم كل طالب دفتر الطالب الذي يجلس خلفه ويعطيه الاخير دفتره مقابل ذلك ، ثم يقرأ ما املاه علينا فيصحح كل طالب الدفتر الذي في حوزته ثم تعاد الدفاتر الى اصحابها ليتبينوا اخطاءهم . ولا اكون مبالغاً ان قلت ان ما تعلمته من اللغة الانكليزية في تلك السنة اكثر بكثير مما تعلمته من اللغة نفسها طيلة دراستي للغة الانكليزية في المراحل الثلاث الابتدائية والمتوسطة والاعدادية . وبغية ان لا اكون جائراً في الحكم على مدرسينا في اللغة الانكليزية في المراحل الدراسية الثلاث اقول ان استاذ اللغة الانكليزية الذي تولى تدريسنا في السنة الجامعية الاولى كان مسؤولا عن اربعة وثلاثين طالبا حسب ، ولنقارن هذا العدد من الطلبة بما يناط بمدرسينا في الوقت الحاضر . واكرر ضرورة العناية بالانشاء ولا سيما باللغة الانكليزية لما له من اهمية في تعليم تركيب الجمل واستعمال الكلمات ولواحقها وسوابقها في اماكنها الصحيحة .

قد يرى بعض المتزمتين ان كتابة التقارير باللغة الانكليزية وتتبع العلم بها امراً مشيناً واقول لهؤلاء ان من متطلبات طلبة الدكتوراه في الدول العريقة في التمدن ان يجيد الطالب لغتين حيتين بجانب لغته الحية وامثل لذلك بأن طالب العلم الذي يروم نيل الدكتوراه في الجامعات الامريكية عليه ان يحسن لغتين حيتين على الاقل بجانب لغته الاصيلة وعادة تكون اللغة الالمانية بالدرجة الاولى واللغة الروسية او اللغة الفرنسية بالدرجة الثانية ليتمكن الطالب الباحث من قراءة ما يستجد من بحوث في لغة حية غير لغتـــه .

ومن المألوف جدا ان نرى الاستاذ الالماني والانكليزي والفرنسي والروسي والامريكي يجيد لغتين بجانب لغته فترى مكتبته تغص بالمجلات الدورية من مختلف اللغات الحية ، هذا وان ترجمة المستخلصات العلمية قائمة على قدم وساق من لغة حية الى مثيلتها ، ويتولى ذلك اشخاص كثيرون ومتفرغون لهذا العمل الى جانب الاجهزة المتطورة التي تعجل في ذلك .

ان عملية التعريب ليست متعذرة ولكنها صعبة ولا سيما في المراحل الاولى فمن السهولة بمكان ان يدرس الاستاذ باللغة التي درس العلم بها وقد تبدو عملية التدريس

باللغة العربية امراً شاقاً ومضنيا ولكنه اذا مارسها بجد وبطريقة صحيحة ذُللت المصاعب التي كانت تعترض سبيله في وقت قصير ، وبدت تلك المصاعب والعراقيل امورا تافهة واضرب مثلا لذلك . فقد حدثني المرحوم الدكتور مصطفى نظيف رئيس الاتحادالعلمي العربي وعضو مجمع اللغة العربية في القاهرة عندما كنا نبحث مشكلة التعريب عسام ستة وستين وتسعمائة والف للميلاد (١٩٦٦ م) فقال رحمه الله جئنا نحن المصريون الذين درسوا في انكلترا او في المانيا فبدأنا ندرس العلم باللغة الانكليزية وكان معنا في ذلك الوقت بعض الاساتذة الاوربيين وجلهم من المستشرقين الذين تعلموااللغة العربية والفوها وكان هولاء يدرسون العلوم باللغة العربية ،وصادف ان زار الجامعة وزير المعارف في ذلك الوقت فرأى الحال الذي ذكرته واغتاظ كثيرا وطلب الى الاساتذة المصريين ان يجتمعوا به فور الانتهاء من حصصهم وعندها احتجانا في لقائه فقد قال من المؤسف حقا ان نرى غير العربي يفضل العربية ويدرس بها ويتنكر لها اهلها من الاساتذة فيدرسون باللغة الاجنبية وقال بصيغة الامر ان عليكم ان تبدأوا التدريس باللغةالعربية ابتداء من مطلع الاسبوع القادم . فهالنا الامر وظن بعضنا ان الطلب شاق ان لم يكن متعذراً ، وبعد فترة وجيزة وجدنا انفسنا قادرين بل متمكنين من التدريس باللغة العربية بيسر وطلاقة وخلاصة القول انني ادعو الى التدريس باللغة العربية وبلغة بينة صحيحة كما ادعو في الوقت نفسه ان تحرص كل الحرص على ان يتعلم طالب العلم في الجامعات العراقيةاللغة الانكليزية ويحسنها قراءة وكتابة ليكون افقه العلمي واسعاً ويكون العلم في متناول يده في لغة حية واحدة على الاقل . ومن المستحسن تدريس الطلبة الجامعيين اللغة الانكليزية على ان يقوم بتدريسها اساتذة متخصصون ومتمرسون في تدريس اللغة ومن الاوفق ان يقرأ طالب العلوم في الجامعة كتبا علمية عامة باللغة الانكليزية يختارها الاستاذ نفسه اول الامر ويدرس طالب الانسانيات كتبا عامة في المواضيع التي يدرسها وباللغة الانكليزية ايضا .

استدراك :

لقد طرق سمعي بعد ان اتممت هذا البحث المتواضع في التعريب ، ان بعض الكليات بل بعض الاساتذة في الجامعات العراقية — سامحهم الله — سلكوا طريق الردة في هذا

الباب وطالبوا بتأجيل التعريب العالي عاماً او اكثر من عام بحجة انهم غير متهيئين لهذا العمل في السنة الدراسية الحالية . ولا ادري هل سيجاب طلبهم ويركنون الى الراحة عاما او اكثر أم انهم سيجابهون صعوبة التعريب التي تبدو لهم اول وهلة هائلة ومضنية .

ان طلب التأجيل متوقع ، والاستجابة قد تكون جائزة ولكن امر التأجيل لا يقدم ولا يؤخر من تذليل الصعوبات التي يجابهها بعض الزملاء من الاساتذة فالمشكلة قائمة والصعوبات باقية سواء أكانت هذه السنة ام في السنوات القريبة المقبلة وكل ما في الامر احجام بعض الاساتذة عن مجابهة العناء الذي يعترض سبيلهم في التعريب والتهيب من اجتياز هذه الصعوبات وتذليلها وسيبقى الاحجام والتهيب — قائمين مهما طال عهد التأجيل ، طالما ان العملية تتطلب خوض غمار الصعوبات وطرح الاحجام والتهيب جانباً اكان هذا عاجلاً ام آجلاً وسوف لا يجدى التأجيل الاساتذة الافاضل نفعاً ولا يذلل صعوبة ولا يزيل عن طريقهم عقبة .

ولن يكونوا احسن حالا بعد التأجيل . فالتعريب — كما اسلفت — يتطلب اقداماً وجهداً واطلب الى اخواني ان يقدموا ويبذلوا الجهد اللازم دون تردد وخير البر عاجله ولعل في المثال الذي ذكرته نقلا عن المرحوم الدكتور مصطفى ما يغنيني عن التبسط في الحديث فالمثال نفسه مشكلة وحل .

فاضل احمد الطائي